

موجز تنفيذي

الأرض بناء أساسي للحضارة، لكن طرق النظر إلى مساهمتها في نوعية حياتنا وتقييمها مختلفة تمامًا وغالبًا ما تكون غير متوافقة. وقد نشأت أقلية غنية من الاستخدام غير المستدام والاستغلال الواسع النطاق لموارد الأراضي مع ما رافق ذلك من صراعات تتفاقم في كثير من البلدان. وقد وصل العالم إلى نقطة يجب التوفيق فيها بين هذه الاختلافات وإعادة التفكير في الطريقة التي نستخدم بها الأرض ونخطط لها ونديرها بها.

ستفترق قدرتنا على إدارة التبادلات على نطاق المواقع الطبيعية في نهاية المطاف مستقبل موارد الأرض - التربة والمياه والتنوع البيولوجي - وتحديد النجاح أو الفشل في تحقيق الحد من الفقر والأمن الغذائي والمائي والتخفيف من آثار التغير المناخي والتكيف معه. وفي الواقع، من المسلّم به أن الإدارة المتكاملة للأرض والمياه تعجّل بتحقيق معظم أهداف التنمية المستدامة.

وبينما نحن نقف عند منعطف حرج، يقترب بسرعة، وفي بعض الحالات يتجاوز حدود الكوكب، فإن الأدلة المقدمة في هذه الطبعة الأولى من توقعات الأراضي العالمية تدل على أن اتخاذ القرارات المستنيرة والمسؤولة، وتحسين سياسات وممارسات إدارة الأراضي، والتغييرات البسيطة في حياتنا اليومية، يمكن، عند اعتمادها على نطاق واسع، أن تُساعد على عكس الاتجاهات الحالية المثيرة للقلق في وضع مواردنا الأرضية.

الصورة الكبيرة

باتت الضغوط على موارد الأراضي العالمية أكبر من أي وقت آخر في تاريخ البشرية. ويؤدي تزايد عدد السكان بسرعة، إلى جانب ارتفاع مستويات الاستهلاك، إلى زيادة الطلب على رأس المال الطبيعي المعتمد على الأرض. كما يؤدي ذلك إلى تنامي المنافسة بين استخدامات الأراضي وتوفير السلع والخدمات.

خلاصة القول، ثمة منافسة متزايدة بين الطلب على السلع والخدمات التي تعود بالفائدة على الناس، مثل الغذاء والماء والطاقة، والحاجة إلى حماية خدمات النظم البيئية الأخرى التي تنظم وتدعم الحياة ككل على الأرض. ويُعزّز التنوع البيولوجي الأرضي كل هذه الخدمات ويكفل التمتع الكامل بطائفة واسعة من حقوق الإنسان، مثل الحق في الحياة الصحية والغذاء المفيد والمياه النظيفة والهوية الثقافية.

تدهور نسبة كبيرة من النظم البيئية الطبيعية المدارة و أصبحت مُعرضة لمزيد من المخاطر نتيجة التغير المناخي وفقد التنوع البيولوجي. وخلال الفترة من عام 1998 إلى عام 2013، أظهر نحو 20 في المائة من الغطاء النباتي للأرض اتجاهات هبوط مستمرة في الإنتاجية، وهذا واضح في 20 في المائة من الأراضي الزراعية و16 في المائة من الأراضي الحرجية و19 في المائة من الأراضي العشبية و27 في المائة من المراعي. وهذه الاتجاهات مُقلقة بوجه خاص في مواجهة الطلب المتزايد على ذات المتطلبات الكثيفة من الأراضي والمكون الحيواني.

يسهم تدهور الأراضي في التغير المناخي ويزيد من ضعف ملايين الناس، لا سيّما الفقراء والنساء والأطفال. وتحمل ممارسات الإدارة الحالية في القطاع استخدام الأراضي مسؤولية نحو 25 في المائة من غازات الدفيئة في العالم، بينما يعد تدهور الأراضي سبباً ونتيجة للفقير. ويعيش أكثر من 1.3 مليار شخص، معظمهم في البلدان النامية، محاصرين في الأراضي الزراعية المتدهورة وعرضة للإجهاد المناخي، وبالتالي مستبعدون من البنية التحتية والتنمية الاقتصادية الشاملة.

يؤدي تدهور الأراضي أيضاً إلى التنافس على الموارد الشحيحة، وهو ما قد يؤدي إلى الهجرة وانعدام الأمن، بينما يؤدي إلى تفاقم عدم المساواة في الدخل، وتسهم تعرية التربة والتصحر ونُدرة المياه في الإجهاد والانهايار المجتمعي. وفي هذا الصدد، يمكن اعتبار تدهور الأراضي "عامل تهديد فعال"، خاصة عندما يُقلل ببطء من قدرة الناس على استخدام الأرض لإنتاج الأغذية وتخزين المياه أو يقوض من خدمات النظم البيئية الحيوية الأخرى. ويزيد هذا بدوره من انعدام الأمن البشري، وقد يؤدي، في ظروف معينة، إلى نشوء أو زيادة خطر نشوء الصراعات.

كان حجم التحوّل الريفي خلال العقود الأخيرة غير مسبوق في سرعته ونطاقه. وقد تخلّى الملايين من الناس عن أراضي أجدادهم وهاجروا إلى المناطق الحضرية، وفقدوا الهوية الثقافية في كثير من الأحيان، وتخلوا عن المعرفة التقليدية وغيروا المناطق الطبيعية بشكل دائم.

توافق ناشئ في الآراء

سوف يؤدي ارتفاع درجات الحرارة وتغير أنماط هطول الأمطار وزيادة ندرة المياه بسبب التغير المناخي إلى تغيير في ملائمة المناطق الشاسعة لإنتاج الغذاء واستيطان البشر. كما يزيد الانقراض الجماعي لعالم النبات والحيوان، بما في ذلك فقدان الأقارب البرية للمحاصيل والأنواع الرئيسية التي تربط النظم البيئية معاً، من تعريض المرونة والقدرة على التكيف للخطر. لا سيّما لفقراء الريف الذين يعتمد معظمهم على الأرض لتلبية احتياجاتهم الأساسية وسبل معيشتهم.

ركز نظامنا الغذائي على الإنتاج القصير الأجل والربح بدلاً من الاستدامة البيئية الطويلة الأجل. أدى النظام الزراعي الحديث إلى زيادات هائلة في الإنتاجية، مما أدى إلى استبعاد خطر المجاعة في أجزاء كثيرة من العالم، ولكن في الوقت نفسه، يعتمد هذا النظام على الزراعة الأحادية والمحاصيل المعدلة وراثياً والاستخدام المكثف للأسمدة والمبيدات التي تعد من الاستدامة طويلة الأجل. ويساهم إنتاج الغذاء بنسبة 70 في المائة من جميع عمليّات سحب المياه العذبة و80 في المائة من إزالة الغابات، أما التربة، وهي أساس الأمن الغذائي العالمي، فقد تعرّضت للتلوّث والتدهور والتآكل في كثير من المناطق، مما أدى إلى انخفاض الإنتاجية على المدى الطويل.

بات صغار المزارعين، الذين يمثلون العمود الفقري لسبل العيش الريفية وإنتاج الغذاء على مدى آلاف السنين، عرضة لضغوط هائلة نتيجة لنُدرة الأراضي والحيازة غير الآمنة ونظام غذائي منتشر عالمياً يُحبذ الأعمال التجارية المركزة واسعة النطاق والأعمال الزراعية الآلية. ولا يمتلك هؤلاء المزارعين في كثير من الأحيان سوى خيارات محدودة لمتابعة سبل كسب العيش البديلة.

تؤدي الفجوة الآخذة في الاتساع بين الإنتاج والاستهلاك، ومستويات الخسائر/التلف في الأغذية المترتبة إلى تسريع التغير في استخدامات الأراضي وتدهور الأراضي وإزالة الغابات. أدى التوسع السريع في سلاسل القيمة العالمية وما يرتبط بها من تجارة في السلع البرية (ومكوناتها "الافتراضية") إلى تحويل العديد من ضغوط الموارد الطبيعية من الدول المتقدمة إلى الدول النامية حيث توزعت الآثار المباشرة

لندهور الأراضي بشكل غير متساوٍ، خاصة عندما توجد تكهنات مُفرطة و/أو حكومة ضعيفة.

للحيلة ضد انعدام الأمن الغذائي وتقلبات الأسعار المستقبلية، ازدادت عمليات الاستحواذ على الأراضي ذات المساحات الكبيرة أو "الاستيلاء على الأراضي" بمعدلات كبيرة منذ عام 2000، بحيث باتت تغطي أكثر من 42 مليون هكتار مُخصّصة للأغذية والأشجار الخشبية ومحاصيل الوقود الحيوي، في أفريقيا بشكل أساسي، وتنتج الآن حوالي 25 في المائة من مساحة الأراضي الزراعية حول العالم، وما يرتبط بها من استخدامات للمياه وغيرها من المدخلات السلع التي يتم تصديرها إلى البلدان الفقيرة بالأراضي لكنها غنية بالتقّد.

سيناريوهات التغيير

باستثناء بعض المناطق في أوروبا، كان الاستخدام البشري للأرض قبل منتصف القرن الثامن عشر محدود بالمقارنة مع التغييرات المعاصرة في النظم البيئية للأرض. وجاءت فكرة وجود عالم بلا حدود، يهيمن عليه الإنسان، نتيجة لتبنيها ودعمها عن طريق التقّد العلمي. وقد حصل السكان فجأة على إمكانية الوصول إلى ما يبدو أنه مخزون غير محدود من رأس المال الطبيعي، حيث تم النظر إلى الأرض باعتبارها هديّة مجانية من الطبيعة.

يدير تحليل السيناريو الذي تم تنفيذه لهذه التوقعات مجموعة من العقود الأجلّة والمشاريع سيناريو التي تزيد من حدة التوتر بين الحاجة إلى زيادة إنتاج الغذاء والطاقة، واستمرار الانخفاض في التنوع البيولوجي وخدمات النظم البيئية. ومن منظور إقليمي، تنتبأ هذه السيناريوهات بأن تواجه أفريقيا جنوب الصحراء وجنوب آسيا والشرق الأوسط وشمال أفريقيا أكبر التحديات بسبب مزيج من العوامل، من بينها: ارتفاع معدل النمو السكاني وانخفاض نصيب الفرد من الناتج المحلي الإجمالي والتوسع الزراعي وزيادة الإجهاد المائي وارتفاع خسائر التنوع البيولوجي. وستؤدي الحاجة إلى الوسائل الاقتصادية والمؤسسية اللازمة لمواجهة هذه العوامل إلى زيادة مخاطر الصراعات العنيفة والهجرة الجماعية.

تشير سيناريوهات أخرى لاستخدامات الأراضي على الصعيد العالمي إلى أن ممارسات الإدارة في سياق المواقع الطبيعية، التي تمثل الترابطات تعدّ مُحَدّات أكثر أهمية للناتج المشتركة للأمن البيئي والأمن الغذائي مقارنة بتوقعات السكان والنمو الاقتصادي. وهذه النماذج تعني ضمناً أن المُقايضات المُتصوِّرة ليست مجرد مسألة عدد الناس لكنها النتيجة التي يمكن التنبؤ بها نتيجة التخطيط والسياسات، والممارسات ضيقة الأفق وغير المُستدامة لاستخدام الأراضي.

الأرض محدودة المساحة، لكن الأدلة المقدمة في هذه التوقعات تشير إلى أنه مع التغييرات في سلوك المستهلك والشركات، وسياسات وممارسات الإدارة المستدامة، لا يزال لدينا ما يكفي من الأراضي المتاحة لتلبية كل من الطلب والحاجة إلى مجموعة واسعة من السلع والخدمات. ومع ذلك، ستكون هناك حاجة إلى خيارات صعبة ومقايضات.

وسيتطلب الأمن الغذائي والمائي على الأجل الطويل تحولاً بعيداً عن الإنتاج المستند إلى تكثيف الموارد، ومعالجة ونقل الكربون بكثافة، والنظام الغذائي المعتمد على كثافة استخدام الأراضي (وبشكل أساسي بسبب زيادة الطلب على المنتجات الحيوانية والأغذية المصنّعة)، والمستويات الحالية المرتفعة من نفايات الغذاء، بما في ذلك خسائر ما بعد الحصاد.

ولذلك فإن مسارات الاستجابة الفعالة تحتاج إلى معالجة الطريقة التي نقدر بها وندير بها نوعية الأرض، حيث نسعى إلى تحقيق التوازن بين إنتاجيتها البيولوجية والاقتصادية. وقد جاء هذا حصيلة لقراراتنا الفردية - كمستهلكين وكمُنتجين وشركات وحكومات - مما خلق أزمة عالمية على الأراضي. ومثلما كانت استجابتنا للتغير المناخي، فإن نهج العمل المُعتاد سيكون غير كافٍ لمعالجة مثل هذا التحدي.

مستقبل أكثر أمناً

نعلم الكثير بالفعل عن ما يلزم لبناء كوكب مرين للأجيال القادمة - لتسخير الفرص الهائلة للنمو المستدام الذي توفره الطبيعة وضمان مستقبل أكثر أمناً. والسؤال هو: هل يمكننا تحفيز التحوّل من "الاستنزاف" الحالي إلى "عصر الاحترام" بحيث نحترم الحدود الفيزيائية الحيويّة؟

وسيتطلب الانتقال نحو عصر جديد من الاحترام تحولاً في الطريقة التي نستهلك بها ومنتج ونعمل معاً ونعيش معاً للتصدي للضغوط الرئيسية على موارد الأراضي وما يرتبط بها من قضايا بيئية. إن حالة موارد الأراضي ترتبط ارتباطاً وثيقاً بجميع جوانب الأمن الإنساني الحالية والمستقبلية.

ومن الواضح أن العقود القليلة القادمة ستكون الأكثر أهمية في تشكيل وتنفيذ أجندة تحويلية جديدة لأراضي العالم. وفي معظم أنحاء العالم النامي، سيكون تحقيق حقوق أكثر أمناً من حيث الحياة والمساواة بين الجنسين والعدالة الاجتماعية خطوة أساسية لتحسين إدارة الموارد الأرضية على المدى الطويل.

ولتحقيق هذه الخطة الجديدة وإحداث آثار على نطاق الحاجة، يجب أن تكون الحقوق والمكافآت مدعومة بالمسؤولية. وهناك حاجة إلى ضمان الحياة والحوافز والمكافآت المناسبة لتمكين المنتجين من اعتماد وتوسيع نطاق الممارسات المسؤولة عن إدارة الأراضي. وفي النهاية، كيف يمكننا أن نتجاهل الالتزام الأخلاقي لحماية الأرض والحفاظ عليها للأجيال القادمة؟

الجزء الأول من هذه *التوقعات* يستعين بفرشاة كبيرة لرسم الصورة الكبيرة في حين **يتناول الجزء الثاني** بعض القضايا العالمية الأكثر إلحاحاً والتي تؤثر على استخدام الأراضي والطلب والحالة وكذلك الاستجابات المطلوبة لتحقيق هدف تحييد أثر تدهور الأراضي والأهداف ذات الصلة للحد من الفقر والأمن الغذائي والمائي والتنوع البيولوجي وحفظ التربة، والتخفيف من آثار التغير المناخي والتكيف معه، وسبل العيش المستدامة.

الجزء الثالث يسلط الضوء على ستة مسارات للاستجابة يمكن للمنتجين والمستهلكين والحكومات والشركات اتباعها لتحقيق الاستقرار والحد من الضغط على موارد الأراضي ويعرض كذلك دراسات الحالة التوضيحية والأدوات الرئيسية للمساعدة في تحقيق النجاح.

1. أسلوب المسطحات الطبيعية متعددة الوظائف: إعطاء الأولوية وتحقيق التوازن بين مختلف احتياجات الأطراف المعنية على مستوى المسطحات الطبيعية مع إدراج الخصوصية على مستوى الموقع من حيث استخدام الأرض والطلب والظروف بحيث يتم إنتاج مجموعة متكاملة من السلع والخدمات. ويساعد تخطيط استخدام الأراضي على تحديد استخدامات الأراضي التي تُلبي متطلبات الناس مع الحفاظ على التربة والمياه والتنوع البيولوجي للأجيال القادمة.

2. بناء القدرة على الصمود: وتعزيز القدرة التكيفية للمجتمعات المحلية والنظم البيئية من خلال مزيج من الحفاظ والإدارة المستدامة واستعادة موارد الأراضي. وهناك العديد من الأدوات والممارسات اللازمة لصون سلامة الأراضي الطبيعية والمدارة والتي يمكن أن تساعد في التخفيف من آثار التغير المناخي وغيرها من ضغوط الموارد الطبيعية والتكيف معها.

3. الزراعة المتعددة الفوائد: تحسين مجموعة الخدمات البيئية الأكثر تفضيلاً على أنشطة إنتاج الغذاء. ويتطلب ذلك تحولاً جوهرياً في الممارسات الزراعية لدعم مجموعة أوسع من الفوائد الاجتماعية والبيئية والاقتصادية من خلال إدارة رأس المال الطبيعي القائم على الأرض.

4. إدارة واجهة الريف-الحضر: وضع إطار لأسلوب جديد للتخطيط المكاني للتقليل من آثار التوسع الحضري وتطوير البنية التحتية إلى الحد الأدنى. ويمكن للمدن المُصممة على أساس استدامة المسطحات الطبيعية الأوسع أن تقلل من التكاليف البيئية للنقل، والغذاء، والمياه، والطاقة، وأن توفر فرصاً جديدة لكفاءة استخدام الموارد.

5. لا خسارة صافية: توفير حوافز للاستدامة واستهلاك وإنتاج الموارد الطبيعية. ويعني تحييد تدهور الأراضي أو عدم وجود خسارة صافية للأراضي الصحية والمنتجة المزيد من الخدمات داخل الموقع وأثراً بيئية أو اجتماعية سلبية أقل خارج الموقع. أما بالنسبة للاستهلاك، فهذا يعني خفض كبير في المستويات الحالية من نفايات وخسائر الغذاء.

6. تهيئة بيئة تمكينية: توفير الشروط الضرورية لتوسيع نطاق النجاحات المحلية في المبادرات التحولية واسعة النطاق. ويشمل ذلك تعزيز الظروف والمؤسسات الاجتماعية والاقتصادية الأساسية، لا سيما تلك المتعلقة بإشراك الجهات المعنية، وحياة الأراضي، والمساواة بين الجنسين، وتوافر الاستثمارات والبنية التحتية المستدامة.

ولقد جاءت الممارسات العديدة والأساليب التّقدمية التي أبرزت في هذه *التوقعات* بمثابة تذكير في الوقت المناسب لمجالات الاستجابة المُجربة والفعالة من حيث التكلفة التي ستشكل مستقبل مزدهر وأكثر استدامة يقوم على الحقوق والمكافآت واحترام مواردنا الغالية من الأراضي.